صورة المرأة الجزائرية بين المثل الشعبي وتماثلات المجتمع

The image of the Algerian Woman: Between the Folk Sayings and the Social perception

د. ثليثة بليردوح
Discourd19@gmail.com
جامعة أم البواقي

تاريخ الاستلام: اليوم /الشهر/السنة تاريخ القبول: اليوم /الشهر/السنة

الملخص:

تعتبر الأمثال الشعبية الموروث اللامادي الأكثر شهرة وتداولا بين الناس، كونها تحمل صفوة التجارب والأفكار والنموذج الأفصح تعبيرا فضلا عن أنها تتدخل في تكوين نسيج العلاقات الاجتماعية حاملة قيما وتقاليد عبر الأجيال بلغة بسيطة وموجزة (لغة الشعب) وإذا أمعنا النظر سنجد أن الأمثال الشعبية الجزائرية لا تكاد تخلو من عنصر المرأة بمختلف فئاتها العمرية: "طفلة، فتاة شابة ،امرأة ،عجوز، وبمختلف صورها ومكانتها في المجتمع (متزوجة، عاقر عانس، مطلقة، مثقفة، غير مثقفة...) أي من جميع النواحي الإيجابية والسلبية،حيث تختزن الأمثال الشعبية في مجملها المخيال الاجتماعي الجزائري ونظرته للمرأة

الكلمات المفتاحية:المثل الشعبي، صورة المرأة، المخيال المجتمعي ،التصور الاجتماعي

Abstract:

The folk sayings and proverbs are the most known intangible legacy used among people in the Algerian society. Those sayings bear the sum of experiences and ideas and represent eloquent expressions. Additionally, they play a role in constructing the social relationships carrying the values and the traditions across generations in a simple and concise language. When one deeply analyzes those proverbs he would find out that they also talk about woman --with all her ages: a girl, a young, a woman, and an old-- in her all images, and in her place in the society: married, divorced, cultivated, spinster, sterile…. Those images can be negative and positive and they store the Algerian social imagination and its look at women.

Key words: The folk saying (proverb)- the image of woman- the social imagination- the social conception

تمهيد:

لا مراء أن موضوعا يهتم بالأدب الشعبي هو في جوهره يبحث عن حياة الشعوب ورصد صورها، علما وجهلا ثراء وفقرا، بداوة وتحضرا، تطورا وتقهقرا... ، كونه مرآة عاكسة لملامح حياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ... بالإضافة إلى اهتماماتهم الروحية وأسلوب عيشهم ومختلف انتماءاتهم العقائدية والدينية.

ونحن حينما نتحدث عن الصورة فإننا نتحدث عن"البناء الذهني الذي يتم على مستوى الرمزية والذاتية والخيال،والذي يرتبط بواقع الإنسان،من منطلق أن الإنسان بقدر ما يعي العالم المحيط به من خلال حضور الأشياء،بذاتها في العقل،فانه يعيه بطريقة مباشرة،حيث تتواجد الأشياء،عبر صور لكيانات مجازية،ولكنها تؤطر حياتنا ،وسلوكنا في المجتمع،وعليه فإن صورة المرأة هي النمط الذي تظهر به المرأة في الأمثال الشعبية بأدوارهاالمختلفة[1]

وتعتبر الأمثال الشعبية ألصق الفنون بالمرأة (المؤتلف والمختلف عنها) وهي بذلك (الأمثال الشعبية) تساهم بشكل كبير في تكوين ملامح فكر شعبي اتجاه المرأة له صفات ومعايير خاصة، هذا ما يدفعنا إلى جملة من التساؤلات لعل أهمها: كيف تعكس الأمثال الشعبية الجزائرية صورة المرأة في المخيال الاجتماعي الجزائري ؟هل الأمثال الشعبية منصفة أم جائرة في حق المرأة؟هل تلعب المرأة دورا في تدعيم ما تتناوله الأمثال الشعبية عنها سلبا كان أم إيجابا؟

أولا- مفهوم المثل الشعبي: المثل الشعبي عبارة مكونة من لفظتين: مثل/شعبي

1. **<u>المثــل:</u>**

أ. لغة: جاء في لسان العرب أن المثل تسوية إذ يقال : هذا مثله ومثلة. أو كما يقال :يشبهه وشبهه وقال ابن بري: الفرق بين المماثلة والمساواة أن تكون بين المختلفين في الحسن والمتفقين لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار،لا يزيد ولا ينقص أما المماثلة فإنها تكون إلا في المتفقين.

وإذا قيل: هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه سد مسده.
وإذا ما قيل: هو مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة.
والمثل الشبيه: يقال مثل ومثل وشبهه وشبه بمعنى واحد

ويقال تمثل فلان .ضرب مثلا .وتمثل بالشيء ضربه مثلا. والمثال هو المقدار وقد مثل الرجل بالقيم مثالة أي صار فاضلا. ومثل الشيء بالشيء سواه وشبهه به وجعله مثله على مثاله[2].

قال المبرد المثل الشعبي من الناحية اللغوية هو: مأخوذ من المثال.وهو قول سائر يشبه حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه فقولهم مثل بين يديه إذا انتصب ، معناه أشبه الصورة المنتصبة وفلان أمثل من فلان أي أشبه بما له الفضل. والمثال القصاص لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول كقول كعب بن زهير : كانَتْ مَواعيدُ عُرْقوبٍ لَها مَثَلا, وما مَواعِيدُها إلاَّ الأباطيلُ.[3]

وجاء في تعريف لغوي آخر: أن أصل المثل التماثل بين الشيئين في الكلام، كقولهم: كما تدين تدان ، وهو مثل قولك: هذا مثل الشيء ومثله ، كما تقول: شبيهه وشبهه ، ثم جعل كل حكمة سائرة مثلا[4]

ب **اصطلاحا:** جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب، وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها[5] "

ويعرفه الفارابي بقوله "ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه وفي معناه ،حتى ابتذلوه فيما بينهم وفاهو به في السراء والضراء واستدروا به الممتع من الدر ووصلوا به من المطالب القصية وتفرجوا به عن الكرب والكربة وهو ما أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة"[6]

وقد عرفه التلي بن الشيخ بأنه :" المثل جملة أو جملتين تعتمد على السجع وتستهدف الحكمة والموعظة ...،والمثل الشعبي تقطير أو تلخيص لقصة أو حكاية ولا يمكن معرفته إلا بعد معرفة القصة أو الحكاية التي يعبر المثل عن مضمونها[7] ،وهذا ما ذهب إليه عبد المجيد قطماش معرفا المثل بقوله :"والمثل قول موجز سائر صائب المعنى تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة[8] "

2. **الشعــبي:** كلمة شعبي في الأصل مأخوذة من مصطلح الشعب ونعني بالشعب مجموع أفراد الأمة بمختلف فئاتها وطبقاتها الاجتماعية "فالأصل فيها مأخوذ من التقسيم الاجتماعي للعرب الأقدمين فكان يبدأ بالأسرة وتسمى عندهم الرهط أو الفصيلة، وحين ينضم عدد منهم إلى بعضه يكون العشيرة ومن العشائر يتكون الفخذ ومن الأفخاذ تكون البطن والبطون تكون العمارة ومن العمائر تقوم القبيلة ومجموع القبائل هي الشعب[9] ،كما نجد كلمة الشعبية مشتقة –أيضا- من مصطلح الشعب "إن معاني الشعبية تكون في الانتشار وبما أن الشعوب تمتد في تاريخها إلى جذور عميقة متناهية في القدم ... فإن كلمة الشعبية عندما نطلقها على أي شيء لابد أن يتسم هذا الشيء بالانتشار والتوزع والتباعد المكاني والزماني أو بمصطلح آخر التداول والتراثية[10] "

3. **المثل الشعبي** : يعتبر المثل الشعبي من أوسع فنون الأدب الشعبي شيوعا وانتشارا وأكثرهم ثراء واكتنازا يتسم بأسلوب بلاغي موجز مجهول القائل انتشر واستمر من خلال المشافهة والرواية التي حافظت عليه من الاندثار وعلى حد تعريف الدكتورة نبيلة إبراهيم: "إنه كل مثل نطق به فرد في زمان معين ومكان معين فإذا مس المثل حس المستمعين له فهو حينئذ ينتشر بينهم وكأنه عبارة ذات أجنحة"[11] وفي ذات السياق عرفه حلمي بدير بقوله:"المثل الشعبي ينقل وجهة نظر الأجيال في أمر ما ونوعيته كما أنه يحث على الحفاظ على تلك الأصول من جانب آخر[12] "

لقد ركزت هذه التعريفات على أهمية ودور المثل الشعبي وطريقة انتقاله من السلف إلى الخلف فيكون المثل الشعبي بذلك بمثابة الضابط الأخلاقي الذي يقوم السلوكات داخل المجتمع ، "حيث تعكس الأمثال الشعبية ملامح العلاقات الاجتماعية للمجتمع الذي تخرج من رحمه ،لهذا تزخر بنظام أخلاقي يغطي مساحة واسعة من قيم العدل والكرم والصدق والصبر ...إلخ ،كما أنها تذم الكذب والنفاق واللامبالاة والكسل ...إلخ ،وتحاول تثبيت هذه المفاهيم في أذهان الناس في صياغة لغوية مكثفة وصورة معبرة ، وموسيقى مؤثرة تجعلها مستساغة وعذبة السمع ويسهل حفظها وتناقلها بين أفراد المجتمع [13]

كما نجد أن هناك من يعرف المثل الشعبي بذكر أوصافه ومميزاته من إيجاز اللفظ وسلاسة المعنى وتكثيف الدلالة من ذلك قول أحمد أمين معرفا الأمثال الشعبية هي "نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه ، وجودة الكناية ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب[14]

ثانيا- أهمية الأمثال الشعبية: تعتبر الأمثال الشعبية ترجمان المجتمعات بما تحمله من قيم وعادات فهي خلاصة تجاربهم ومحصول خبرتهم ، فالمثل أقوى أشكال التعبير تأثيرا في العلاقات الاجتماعية وأقربها لحياة الناس تداولا واقتداء" لسهولة تمثله واستيعابه ،ولبنائه التركيبي وقدرته التعبيرية التي تجعله يعكس مختلف أنماط السلوك البشري ،ثم لاستمرارية حضوره ، وانتقاله من جيل لآخر إضافة إلى طبيعته المتميزة بالتكثيف وقدرته المجازية الكبيرة[15]

لذلك تعتبر الأمثال الشعبية من مقومات الحياة الاجتماعية التي صنعها الإنسان لتوجيه والتوعية بصورة مباشرة أو غير مباشر،عن طريق عرض قضايا المجتمع بأسلوب جزل فيه من التلميح ما يغني عن التصريح فإذا "جعل الكلام مثلا كان أوضح للنطق وآنق للسمع وأوسع لشعب الحديث"[16]

وهذا سبب جريانها على الألسن ورسوخها في الوجدان ، واستحضارها إلى الذاكرة عند الحاجة فيحاجج بها المتكلم لدعم رأيه ، وإقناع غيره ،باعتباره العرف الذي اتفق عليه غالبية أفراد المجتمع ،فيكون بذلك بمثابة الضابط والرقيب الاجتماعي الذي يرصد النشاط الإنساني في الحياة اليومية ، فرب مثل يفعل في النفس ما تعجز عنه الخطب والمحاضرات يقول صاحب العقد الفريد ابن عبد ربه عن أهمية ومكانة الأمثال : "هي وشيُّ الكلام وجوهر اللفظ وحليُّ المعاني ، والتي تخيرتها العرب ، وقدمها العجم ، ونطق بها كل زمان وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء مسيرها ، ولا عمَّ عمومها حتى قيل أسير من مثل"[17]

إن للمثل أهمية بالغة في ربط ماضي الأمة بحاضرها، فهو همزة وصل بين الأجيال، تحمل بين ثناياها عبق الماضي ، وحكايا الأجداد ، وذكرى الشعوب وفلسفة وتجارب الأفراد ،فتعطي بذلك عبرا خالدة وترسم لنفسها مكانة هامة بين مختلف أشكال التعبير الأدبي الأخرى ،نظرا لدور الذي تشغله والوظيفة التي تحققها ،فللمثل :"وظيفة تواصلية وظيفة إقناعية حجاجية ، وظيفة تنبيهية وحوارية ،دون أن ننسى الوظيفة الترفيهية ،فهناك أمثال تتناول بعض القضايا ولكن بقالب فكاهي تحمل الناس على الضحك والانشراح وهي وظائف لعبها المثل الشعبي في المجتمع الجزائري ولا يزال يلعبها حتى اليوم"[18]

لذلك قيل أن المثل الشعبي"أهم من القصة واقرب إلى الصدق في التعبير عن الظواهرالاجتماعية"[19]فالمثل يبرز الهوية الثقافية والأخلاقية والاجتماعية للشعوب ويحافظ عليها من الطمس والانصهار والتذويب في أكذوبة العالم الواحد .

ثالثا- تمظهرات المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية : يطغى حضور المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية بصورة ملفتة، وليس من المبالغة إن قلنا أن المرأة تمثل روح المثل الشعبي نظرا لدور الذي تلعبه في المجتمع بصورة عامة وفي

الأسرة بصورة خاصة ،كونها وبكل جدارة إكسير الحياة فلا تكاد الأمثال الشعبية تخلو "من حضور المرأة التي هي محور الحياة الاجتماعية ،داخل البيت وخارجه بل العكس فقد امتاز حضورها بالتنوع والاختلاف والتضارب أحيانا ،إذ نجد صور عديدة لها تعكس الملامح المختلفة والسلوكات اليومية التي تسلكها سواء كابنة أو كأم أو كزوجة أو كحماة ...إلخ[20]

فللمرأة في البناء الذهني الجمعي تمظهرات عديدة تختلف باختلاف الحقول الدلالية التي تحتلها المرأة عبر أطوارها العمرية ، واختلاف مسؤولياتها الحياتية ،بدءا من مرحلة الولادة ثم مرحلة الشباب والعزوبة ،وصولا إلى مرحلة الزواج والأمومة، ختاما بمرحلة الكهولة والشيخوخة ابنة، شابة ،زوجة أم... "ففي كل هذه المراحل تعكس الأمثال ظلا أو صورة من موقف الإنسان آنذاك من المرأة ونظرته إليها كما تلمح إلى طبيعة المكانة التي احتلتها واتصال كل ذلك بتكوين الإنسان النفسي والاجتماعي وما يتصل بعقله الجمعي فضلا عن تركيبة ذلك المجتمع وبنيته الكلية"[21]

1. **الصورة السلبية للمرأة في الأمثال الشعبية** :من المؤسف له حقا أن أغلب الأمثال الشعبية الخاصة بالمرأة كرست صورة سلبية تتسم بالدونية والانحطاط للمرأة في الذاكرة الشعبية وذلك بفعل التنشئة الاجتماعية، والمركزية الذكورية كون المثل الشعبي : "خطاب ذكوري بامتياز حتى وهو يتحدث عن المرأة وبلسانها ، خطاب موجه من الرجل إلى الرجل صاحب التجربة الطويلة في الحياة الى المبتدئ فيها يقدم له من خلال الأمثال صورة عن المرأة تحذره منها أو ترغبه فيها"[22]

وعلى سبيل الذكر لا الحصر يقول عبد الرحمن المجذوب[23] : **مثال ١**

سوق النسا سوق مطيار

يا الداخل رد بالك

يورولك من الربح قنطار

والدّرك راس مالك

مثال ٢

نوصيك يا حارث القديم

بالاك من دخانها يعميك

لاتدي شي المرا المعفونة

تتعاون هي والزمان عليك

في المثال الأول تحذير صريح من التعامل مع النساء كونهن يظهرن عكس ما يخفين فالظاهر شيء والحقيقة شيء آخر ، وقوله: سوق مطيار أي لا ربح فيه، رغم أن النساء يغرين الرجل الذي يدخله بفائض من الأرباح ولكن النتيجة ستكون خسارة فادحة متمثلة في (الدّرك) وهو الثقل والهموم والمشاق لا غير، كما نلمح في هذا المثل أنه لم يخصص نوع معين من النساء بل حكم على معشر النساء جميعا بالكذب والخداع ، وفي ذلك رفع لمكانة الذكر على الأنثى فبقوله سوق النساء يستثني ضمنيا سوق الرجال وهذا ما يعرف بدلالة المخالفة، ومعناها أن مدلول اللفظ هنا في محل السكوت مخالف تماما لمدلوله في محل النطق فدلالة المخالفة هي: أن "يعلق على إحدى صفتي الشيء ، فيدل على ما عداها بخلافه" [24]

أما المثال الثاني فنجده يخص نوع معين من النساء يجب أخذ الحذر والحيطة منه ويحذر من العواقب الوخيمة التي قد يتعرض لها الرجل إذا ما قرب المرأة سيئة الخلق ويشبهها ب: (القديم) وهي الحلفاء التي لا محصول ولا ثمار يرجى منها كونها نوع من الحشائش اليابسة سهلة الاحتراق لا غير .

ولتوضيح صورة المرأة في المثل سنعمد لتقسيمها وفق مراحلها العمرية ومكانتها الأسرية:

أ. **صورة البنت :**

- ✓ اقترنت صورة البنت في الأمثال الشعبية بالعار وضرورة التخلص منها إما بوأدها أو تزويجها :
- ✓ البنت اتجيب العار والمعيار والعدو لباب الدار
- ✓ لفعتين في غار ولا طفلتين في الدار
- ✓ العاتق في الدار عار
- ✓ البنت إما راجلها وإما قبرها

فتزويج البنت هو الخلاص من شبح القيل والقال والحصن المنيع للحفاظ عليها وعلى شرف العائلة ، فهي في المخيال الشعبي هم يلازم أهلها :

- ✓ إلي عندو البنات عندو الهم ينزاد
- ✓ أم البنات حزينة للممات
- ✓ البنية بلية
- ✓ إذى لبنات للممات
- ✓ إلي عندو طفلة حياتو دفلة
- ✓ عشت البنات لاعمرت لاخلات

فلا فائدة ترجى من إنجاب البنت لذا فليس لها الحق في العيش الكريم

- ✓ بنتك لا تعلمها حروف ولا تسكنها غروف

بل ليس لها الحق في أبسط حقوقها (حق الحياة)

- ✓ إلي ماتت بنتو من صفا نيتو
- ✓ لبطن لي جاب لبنية أضربوه بالعصية
- ✓ موت البنت سترة

إن ما نلاحظه من صور دونية تبخس الأنثى حقها في أبسط الأشياء ما هو إلا نتيجة لحصيلة من التراكمات والموروثات المغلوطة المستمدة من المعتقدات

الشعبية القديمة العفنة والجاهلية الأولى وهذا ما يتنافى وتعاليم ديننا الحنيف: يقول تعالى: " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ 58 يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ 59 "[25]

فقد كرم الإسلام المرأة وحررها من كل أنواع الظلم والذل الذي تعرضت إليه في الجاهلية وعدل بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات وكل مناحي الحياة، يقول تعالى : "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ 97"[26]

ب. **<u>صورة الزوجة /الأم:</u>**تنظر الأمثال الشعبية للمرأة في مؤسسة الزواج بصفتها تابعة لرجل وخادمة له،وليس بصفتها الشريكة والحبيبة ونصفه الآخر، فلا يعتد برأيها ولا يأخذ بمشورتها :

- ✓ شاور لمرا وخالف رايها
- ✓ مايشاور لمرا غير لمرا
- ✓ ماتاخذ راي مرا ولا تبع الحمار من وراء

فالاعتقاد بتبعية المرأة للرجل هو تصور راسخ في المخيال الاجتماعي المطبوع بفكرة تفوق الذكر، هذا الأخير الذي "يتحكم في مصير المرأة في دراستها في زواجها في خروجها...، فالنظام البطريكي العائلي هو أساس لسيطرة مزدوجة سيطرة الأب على العائلة وسيطرة الرجل على المرأة"[27]

كما تعطي الأمثال الشعبية الرجل الحق في اختيار شريكة حياته وتضع أمامه العديد الخيارات :

- ✓ إلي يتزوج المرا الصغيرة يحوز الخير والتدبيرة
- ✓ الي بغا الزواج يدي بنت الزمان
- ✓ الي تعبي عبي المسكينة ولو تجيب ليها غير الخبز والسردينا

تدعو هذه الأمثلة الرجل إلى أن يختار المرأة صغيرة السن لأنها ستكون أطيع لزوجها وأهله وأنجب للولد ويمكن للرجل أن يشكلها كما شاء، كما تنصحه بالمرأة التي صقلها الزمن ورباها فذاقت من العيش حلوه ومره ،وتدعوه أيضا إلى الارتباط بالمرأة الفقيرة (المسكينة) كونها سترضى بأي شيء يقدمه لها زوجها دون أن ترفض أو تتذمر، على خلاف المرأة التي يجب أن تقبل بالرجل كيفما كان لأن الرجل في المنظور الشعبي لا يعاب :

- ✓ الراجل هيبة لوكان عشيبة
- ✓ ظل راجل ولا ظل حيطة

فزواجها من الرجل أي كان - فقير، غني، متعلم، غير متعلم، متخلق ، دون أخلاق...- في حد ذاته مكسب لها :

- ✓ المرا خشبة والسعد نجارها

المقصود بالسعد هنا الزواج الذي سيقومها ويصلحها، وتعتبر الزوجة في نظر الذهنية الشعبية المسؤولة عن الحالة المادية للزوج والعائلة

- ✓ غناه من مرتو وفقرو من مرتو

حيث تلقي الامثال الشعبية على كاهل الزوجة كل أمور الأسرة، ولما تخرج المرأة عن صمتها وترفض ما يلحقها من تهميش وإقصاء ، لا يرحمها المثل الشعبي، بل يعتبرها متمردة وناكرة للجميل وأصبح لها صوت بعد أن كانت زوجة رصينة ومؤدبة:

- ✓ بوه بوه جبناها شقفة ولات طاجين
- ✓ جبناهم فيران ولاو ثيران

أما عن **صورة المرأة الأم** فالمرأة تمثل: "ذلك الوسيط الذي عبره يكتب الرجل تاريخه السلالي النسبي "[28]

لذلك فالصورة التي تلازم المرأة هي رحم يضمن استمرارية العائلة، لكن ليس أي طفل فالمقصود هنا الطفل الذكر،

- ✓ كي ڤالو بنية طاح الحيط عليا
- ✓ كي ڤالو ولد اشتد ظهري واستند

فقد ترسخت في اللاوعي الشعبي أغلوطة أن المرأة هي المسؤول الأول عن جنس المولود ،فإذا لم تنجب الولد كان ذلك سببا كافيا لطلاقها أو الزواج بأخرى :تبدال السروج راحة

يقصد بتبدال السروج هنا الزواج مرة أخرى، وهو تعبير غير لائق بل ومخزي للزوجة ، فقد كان الرحالة من أهل البدو بعد قطعهم لمسافات طويلة بجيادهم يستبدلون مطاياهم بأخرى جديدة ،بعد وصولهم لوجهتهم الأولى ثم يستأنفون رحلتهم بعد ذلك على الفور،حيث يجدون في ذلك راحة كبيرة ، لذا قيل في المثل الشعبي : بدل لمرا بالمرا تعودلك وبرة ،أي مطيعة وحنونة مثل الوبر بعد نسجه.

ولا يعتبر الطلاق العقاب النفسي الوحيد الذي تصوره الأمثال الشعبية بل هناك عنف جسدي آخر تتعرض له المرأة وهو (الضرب) :

- ✓ المرا كي الساجدة ما تتنظف غير بالخبيط

كثيرة هي الأمثال الشعبية التي تصور المرأة بصور سلبية، بخسة وقد رسختها في الذاكرة الشعبية كمصدر بلاء :كل بلية سببها ولية

ورمز للغدر وعدم الأمان :لا تامن المرا إذا تابت وصلات ودارت سبحة رقيقة إلي يخدمو الشيطان في عام تخدمو هي في دقيقة ،لا تامن لمرا إذا صلات ولا الشمس ولات

ومحترفة في الكيد والدسائس:كيد النسا كيدين من كيدهم جيت هارب يتحزمو باللفاع ويتخللو بالعقارب

وهي صور نمطية الهدف منها رفع سلطة الذكورة على الأنوثة في مجتمع يتسم أساسا أنه ذكوري.

2. **الصورة الإيجابية :**تحتضن الأمثال الشعبية عددا كبيرا ومتنوعا لحضور المرأة وتصورها بصور مختلفة لدرجة التناقض والتضارب في الدوال والمدلولات سيميائيا ودلاليا ، وهذه الميزة تجعل من خطاب الأمثال الشعبية خطابا ثريا بامتياز، بثقل ما يحمله من تجارب وخبرات يغرف منه المتلقي ما يقوم سلوكه اتجاه نفسه وتجاه الآخر (المرأة) ، فنجد في خزانة الأمثال الشعبية ما يرسخ للقيم الإنسانية المثلى عند المرأة ،سواء من خلال انتقاد الطابوهات التي تحرض على اضطهادها وتهميشها ، أو من خلال امتداحها لسلوكات تمجد المرأة وترفع من شأنها لتتبوأ المكانة اللائقة بها كنصف المجتمع الذي أنجب نصفه الثاني فتكون بذلك :

- ✓ المرا عمارة الدار
- ✓ الرجال جنا والنسا بنا

مكونة شكلا عاما للمرأة وهو المرأة النموذج سليلة النسب الشريف والأصل الرفيع :

- ✓ بنات الأصول خير من بنات المال والمحصول
- ✓ مرا صالحة خير من جماعة طالحة

صاحبة الجمال والدلال والأدب :

- ✓ الزينة بلا كحل والعزيزة بلا طفل
- ✓ إلي يحب الزين بصبر على عذابو

فالمرأة بصفتها بنت، زوجة،أم،لا يمكن الاستغناء عنها فهي ركيزة البيت وحجره الأساس

- ✓ البنات عمارة الدار
- ✓ إلي ماعندو بنات ماعرف حد باش مات

فالبنات من يقمن بأعمال المنزل : طبخ ، ترتيب، تنظيف ... لذا قيل:

- ✓ إلي ماعندو بنات ما ياكل فتات

والفتات أكلة شعبية طيبة تحتاج عددا من النساء لتحضيرها والمقصود هنا أن والد البنات ينعم بكل ما لذ وطاب فضلا على أن بيته دائما نظيف ومرتب وأنهن من يبكين وينتحبن على موت والدهن فيجتمع الأهل والجيران لتقديم العزاء والوقوف مع أهل الميت.

كما صورت لنا الأمثال الشعبية وفاء المرأة ووقوفها بجانب زوجها عند المحن والشدائد :

- ✓ الحدايد لشدايد
- ✓ تبيع عليك الطاسة والكاسة

حيث يمكن للمرأة أن تضحي بكل ما تملك في سبيل مساعدة زوجها أو معيلها أب،أخ ...،فالحدايد هو ماتتزين به المرأة من ذهب وفضة، ويقصد بالطاسة والكاسة - وهما من مستلزمات الحمام- كل ما تملك حتى أبسط الأشياء .

الخاتمة:

نخلص مما تقدم أن نظرة المجتمع للمرأة من خلال ما تصوره الأمثال الشعبية هي نظرة مجحفة تأخذ منحى سلبي وتتسم بالسوداوية والدونية ودلك قد يعود إلى النزعة الذكورية التي تغلب على المجتمع الجزائري من جهة والى مساهمة المرأة في تكريس هذه الصورة من جهة أخرى كونها "الكائن الناطق الأكثر خضوعا لتقاليد والأعراف والعادات وبصفة عامة للموروث الثقافي[29] "

ورغم وجود أمثال شعبية تقدم صورا إيجابية عن المرأة إلا أنها تظل محدودة العدد إذا ما قورنت بمجموع الأمثال الشعبية التي ترسم صورة سلبية عن المرأة ، ولا تكاد تفارقها عبر مراحلها العمرية الأمر الذي رسخها أكثر في الذاكرة الشعبية وحقق لها الاستمرارية والانتشار الواسع، لاسيما أن الأمثال الشعبية تعد أحد أهم أعراف المجتمع "فاعتمدوا عليها في دعم كلامهم وتأييد أقوالهم وتأكيد آراءهم، ولهذا وجدنا الأمثال ، وكأنها تكاد تكون السلطة الأدبية التي تفرض على الناس شكلا معينا في تعاملهم ، ويأخذ بها معظم الأفراد ،شأنها شأن كل الظواهر الاجتماعية الأخرى الضاغطة على أفراد المجتمع" [30] فنجد فيها الأمر والنهي والتهديد والوعيد ومع ذلك فللفرد حرية الأخذ بالمثل أو تركه.

الهوامش:

1سويلم صالح،**صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية**، الأكاديمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد7،كلية العلوم التربوية، جامعة آل البيت، الأردن،ص36

2ابن منظور. **لسان العرب** .دار صادر بيروت .مجلد 14 ط1.ص17

3الميداني أبي فضل،**مجمع الأمثال**، منشورات دار مكتبة الحياة .لبنان،مج1،ط2 ،د.ت ، ص13.

4العسكري أبي هلال ، **جمهرة الأمثال** ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، ج1، 1988، ص 11

5السيوطي، **المزهر في علوم الأدب و أنواعها** دار إحياء الكتب العربية ج1 ص486

6ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي، **ديوان الأدب**، مجمع اللغة العربية، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والتوزيع، ج 1 ، 1947، ص 74.

7ابن الشيخ التلي ،**منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري** ،الجزائر 1990 ص19

8عبد المجيد قطماش، **الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية**،ط1 دار الفكر سوريا 1988 ص12

9محمد ذهني،**الأدب الشعبي العربي مفهومه ومضمونه**،مطبوعات جامعة القاهرة، الخرطوم السودان1972 ص226

10حسين فهيم،**الانثروبولوجيا فصول في تاريخ الانسان**،علم المعرفة الكويت ط1 2020 ص21

11نبيلة إبراهيم،**أشكال التعبير في الأدب الشعبي** ، ط1 دار نهضه مصر،القاهرة دت ص163

12حلمي بدير **أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث** ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية دط ،دت ص40

13جمانة طه،**موسوعة الأمثال الشعبية العربية** ،الدار الوطنية السعودية ،1999ص 60

14أحمد أمين،**قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، دط1953 ، ص 61

15علي أفرفار، **صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلماني**، دار الطليعة بيروت1996ص ص58،57

16الميداني أبي الفضل ، **مجموع الأمثال** ،ص 14

17ابن عبد ربه، **العقد الفريد** ،دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ج 3 ، 1982 ،ص63

18عبد الحميد بو رايو ،**الأدب الشعبي الجزائري** ،دار القصبة للنشر،الجزائر د ط،دت ص78

19ينظر جميل الجبوري ،**الشعر الشعبي العراقي** ، بغداد، ص7

20سميرة مناد، **الزعامة النسوية في المخيال الاجتماعي** ، دراسة أسلوبية سردية حضارية ،دار الفارس لنشر والتوزيع الاردن ، عمان ط2009 ،ص 293

21أماني سليمان داود، **الأمثال العربية القديمة ، دراسة أسلوبية سردية حضارية** ،دار فارس للنشر والتوزيع، الأردن عمان، ط1 ، 2009، ص293

22علي أفرفار، **صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلماني**، دار الطليعة ، بيروت 1996، ص56

23نور الدين عبد القادر ، **القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب**، المطبعة الثعالبية ، الجزائر،ط1دت ، ص13

24أبو إسحاق إبراهيم الشيرازي، **اللّمع في أصول الفقه** ،تح ، محي الدين ديب ، ويوسف علي بدوي ،دار الكلم الطيب ، ودار بن كثير ،ط١،دمشق ، بيروت 1995 ، ص105

25**سورة النحل** ، الآية 59

26**سورة النحل** 97

27سميرة مناد ،**الزعامة النسوية في المخيال الاجتماعي، دراسة ميدانية لتصور الزعامة لدى عينة من النساء بالجزائر** ،الأردن ،دار الحامد للنشر والتوزيع، 2016 ، ص198

28عبد المجيد جحفة، **سطوة النهار وسحر الليل ، الفحولة وما يوازيها ، في التصور العربي** ،دار توبقال للنشر ، البيضاء، 1999 ،ص21

29علي أفرفار ،مرجع سابق، ص56

30محمد سعيدي، **صورة العمل ودلالاته الاجتماعية والثقافية في المثل الشعبي الجزائري** ، مجلة إنسانيات ، العدد 1 ،جامعة تلمسان،الجزائر،ص 24